قراءة في آليات نقد التراث عند طه عبد الرحمان

A reading in the mechanisms of heritage criticism in Taha Abdul Rahman's perspective

Une lecture dans les mécanismes de la critique du patrimoine chez Taha Abdul Rahman

د. مباركة حاجي

جامعة الجزائر2 قسم الفلسفة

تاريخ الإرسال: 04-11-2019 **-تاريخ القبول:** 19-04-2020 **-تاريخ النشر:** 08-12-2020

ملخص

يطرح المقال موضوع قراءة حول منهج المفكر الفيلسوف "طه عبد الرحمان" في نقد التراث، وأهم الآليات المنهجية التي استعان بها في نقد التراث الإسلامي، وهي منهجية عملية واعتراضية، تروم التجديد والتقويم الذي ينأى بصاحبه عن مظاهر التهافت في تبني أحكام نابعة من نظرة تجزيئية تفاضلية، ودعا إلى الابتعاد عن القراءة الناقصة للتراث بغية صناعة خطاب جديد بواسطة تحصيل أسباب المعرفة، وأسباب العمل لصناعة خطاب معرفي حديث باعث على النهوض بالفكر الإسلامي. و سنحاول الإجابة على الإشكال التالي: ما هي الآليات المنهجية التي استعان بها طه عبد الرحمان في قراءته للتراث؟

الكلمات الدالة: التراث؛ التداولية؛ الفكرانية؛ العقل المسدد؛ العقل المجرد؛ العقل المؤيد؛ التفاضلية؛ المعرفة؛ اللغة.

Abstract

The article presents a topic of reading about the approach of the philosopher thinker "Taha Abd al-Rahman" in the criticism of heritage, and the most important methodological mechanisms that he used in his criticism of the Islamic heritage. It stems from a differential, piecemeal view, and calls for moving away from the incomplete reading of heritage in order to create a new discourse by collecting the causes of knowledge, and the reasons for working to create a modern knowledge discourse that prompts the advancement of Islamic thought. We will try to answer the following question: What are the methodological mechanisms that Taha Abdel Rahman used in his reading of heritage?

Keywords: renaissance; modernity-thought; contemporary; mysticism; mind-driven; pro-mind.

Résumé
Taha Abderrahmane est considéré comme l'un des chercheurs qui ont fait l'approche du patrimoine islamique avec une méthodologie pratique. Cette approche qui consiste en l'évaluation, loin d'une vision restreinte et différentielle est basée sur des « mécanismes cognitifs, idéologiques et intellectuels ». Il a appelé, par ailleurs, à éviter les lectures incomplètes du patrimoine et à invalider son contenu par le mécanisme méthodologique qu'il a choisi pour créer un nouveau discours. Cet article est une approche pour répondre à la problématique suivante :
Quels sont les mécanismes méthodologiques pour la critique du patrimoine selon Taha Abderrahmane ? Et comment arriver à s'acquérir des conditions du travail pour l'évaluation du patrimoine afin de produire un discours cognitif encourageant à s'élever par la pensée, en s'inspirant des conditions du travail pour renaitre de la monotonie et du sous-développement.

Mots-clés: renaissance ; modernité; mysticisme; contemporaine; idiologie

مقدمة

تعد قضايا الهوية والثقافة والتراث من المسائل الملحة على الساحة الفكرية العربية الإسلامية حيث بات السؤال عن أسباب تخلفنا وتقدم غيرنا إشكالا معرفيا وضع التراث برمته في مخبر البحث والمساءلة والنقد والتقييم والتقويم، فظهرت اثر ذلك آراء فكرية ومشاريع نقدية أعملت مشرط التشريح بمبضع حاد، بحثا وتشخيصا عن موطن الداء لتحديد الدواء .

ويعد المفكر طه عبد الرحمان واحدا من الباحثين الذين وقفوا على مقاربة التراث الإسلامي بمنهجية عملية واعتراضية تروم التجديد والتقويم، الذي ينأى بصاحبه عن مظاهر التهافت في تبني أحكام نابعة من نظرة تجزيئية تفاضلية قائمة على آليات استهلاكية حددها طه عبد الرحمان بقوله :"الآليات العقلانية، والآليات الإيديولوجية والفكرانية"، فدعا إلى الابتعاد عن القراءة الناقصة للتراث، وإبطال فحواها ،بالآلية المنهجية التي اختارها بغية صناعة خطاب جديد أي بناء تراثنا الحاضر كما بنى المتقدمون تراثهم الماضي ولا سبيل إلى هذا التراث الحي إلا بتحصيل أسباب المعرفة كما

يقول على وجهها الأوسع وتحصيل أسباب العمل على وجهها الأنفع ثم التوسل بكل ذلك في إنشاء خطاب يضاهي قيمة خطاب المتقدمين كما يضاهي خطاب المعاصرين".

وللإجابة عن الإشكال التالي: ما هي الآليات المنهجية التي اعتمدها طه عبد الرحمان في نقده التراث؟ وكيف السبيل إلى تحصيل أسباب العمل في تقييم التراث لإنتاج خطاب معرفي باعث على النهوض بالفكر، آخذ بأسباب العمل للانبعاث من الركود والتخلف؟ وسوف نعمد إلى المنهج التحليلي الوصفي مع شيء من المقارنة والنقد.

للإجابة عن الإشكالية المطروحة، قسمنا البحث إلى عدة نقاط:

- نظرة عامة حول مميزات مشروعه الفكري؛
- آلية الحجاج المنطقي ودورها في قراءة وتجديد التراث عنده؛
- القراءة التكاملية للتراث؛
- الحداثة الإسلامية وآلية إنتاجها حسب طه عبد الرحمن.

خاتمة عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث، الذي أردناه قراءة تحليلية لفكر طه عبد الرحمن. وللإشارة فقد التفت في الآونة الأخيرة الكثير من الباحثين لدراسة مشروع هذا المفكر، ومن هذه الدراسات التي وقفنا عليها ما كتبه الدكتور إبراهيم مشروح في كتابه" طه عبد الرحمان قراءة في مشروعه الفكري،حيث أفضا إلى الوقوف على الدعاوى الأساسية والطروحات الكبرى والتي لخصها في دعامتين أساسيتين هما فقه الفلسفة الذي طلب فيه تحرير القول الفلسفي المنشود بإنتاج فلسفة عربية، وتأسيس الحداثة الإسلامية بناءا على النقد الأخلاقي للحداثة الغربية.

1. نظرة عامة حول مميزات المشروع الفكري لطه عبدالرحمن

لقد أثمرت جهود "طه عبد الرحمن" مشروعا فكريا، كانت بداياته مع خطواته الأولى في مجال التوجيه والتعليم، وخوض غمار تطوير الدرس الفلسفي، كأستاذ للمادة مع نهاية الستينات من القرن المنصرم، ثم تطورت مساعيه وجهوده كباحث متمرس واجه غمار أمواج وتيارات الفكر والفلسفة المتلاطمة، حيث تشير مجمل مؤلفاته التي أنجزها طيلة العقود الثلاثة الماضية، إلى عمق جهده وإخلاصه وتفانيه في البحث العلمي، وعلى رغبة عارمة لديه للإسهام في نهضة أمته والدخول في أفق وروح الحداثة المفقود منذ قرون، ثم المساهمة الفعالة في تفكيك السؤال المؤرق لذوي الألباب المنشغلة بالفكر

والبحثّ: لماذا تقدم غيرنا وتأخرنا؟ ويمكن أن نحدد مميزات ثلاث نراها أهم ما يميز مشروعه الفكري.

- لقد تفرد "طه عبد الرحمان" بخطه المعرفي، ومنهجه في البحوث الفلسفية، حيث استطاع أن يحيي مدرسة أبي حامد الغزالي، النقدية، إذ دعا إلى إعادة قراءة التراث الإسلامي قراءة نقدية معتمدا المنهج التكاملي التداولي المنطقي، متمثلا فلسفة اللغة، آخذا بأسلوب المناظرة في قراءة التراث وتقويم الكتابات الفكرية المعاصرة التي تصدت لقراءة ونقد التراث.(حاجي، 2016). يقول محددا منهجه النقدي: "ولما ألزمنا أنفسنا بهذه المبادئ النظرية والعملية فقد حملنا ذلك على أن نأخذ في بحثنا بمنهجية تعتمد أساسا حواريا، موصولا بالطريقة التي اشتهرت بها الممارسة التراثية، وهي طريقة أهل المناظرة، ومعلوم أن الطريقة التي شملت جميع الدوائر المعرفية الإسلامية العربية، تنبنى على وظائف منطقية تأخذ بمبدأ الاشتراك مع الغير في طلب العلم، وطلب العمل بالمعلوم، كما تبنى على قواعد أخلاقية تأخذ بمبدأ النفع المتعدي إلى الغير أو إلى الآجل.(طه، 1944)

ثانيا: تميزه بموقفه ونقده الشديد لمدرسة "ابن رشد" الفلسفية التي تماهت مع آراء وفلسفة أرسطو فكانت إضافتها هامشية يقول:" إن قصد ابن رشد كان هو تحقيق "ترجمة توصيلية" أي أنه بلغ المضمون بدون تصرف، ماعدا التصرف في بعض الألفاظ وهذا يعني أنه كان يحرص على حفظ المضمون إلى حد تقديسه، ويسعى إلى نقله بحذافيره، ومع أنه ارتقى بالنقل رتبة أعلى من رتبة المترجمين التحصيليين، فإن شدة تمسكه بأداء المضمون على وجهه في الترجمات كما لو كان وحيا منزلا جعل منه متفلسفا مقلدا ليس فوقه مقلد. (طه، 2013)

فقد كان ابن رشد في تصور طه عبد الرحمن من المخالفين لقواعد التداول العربي الإسلامي من جهة التبليغ اللغوي أو المعرفي(اليوسف، 2012)، وهذا معناه أن شروحاته وجوامعه وتلخيصه للمنظومة الأرسطية هي: "أقوال كثيرة بعضها فوق بعض(طه، 1998)

ثالثا: جعل من قراءاته ونقده للحداثة الغربية مشروعا متكاملا داخل نسق لرؤية نقدية واضحة، نقرأ من خلالها رغبة قوية من هذا المفكر في تجاوز النقد إلى التقييم والتقويم، لما أنتجه فلاسفة الحداثة الغربية، حيث انتهى إلى بيان هشاشة مرتكزات

هذه الرؤى الفلسفية وذلك لما أنتجته من مختلف مظاهر الاختناق والتأزم حيث يقول: "إن النظام العلمي التقني في مرتبة الانتظام التي ذكرنا أنها تكسب الإنسان الحديث سيادة التصرف وسلطان البطش، ينبنى على مبدأ اصطناع أخلاق جديدة، ويتجلى هذا الاصطناع للأخلاق في مسلكين هما: مسلك تغيير الخلق " آي تغيير الفطرة" ومسلك تغيير الخلق" أي تغيير السلوك"(طه، 2013، ص123).

هذا ويمكن أن نلخص أهم ملامح ومميزات مشروع طه عبد الرحمن في ركيزتين أساسيتين انتهى إليهما الباحث إبراهيم مشروع هي:

- فقه الفلسفة الذي طلب فيه تحرير القول الفلسفي من التبعية والتقليد وذلك من أجل الإبداع الفلسفي المنشود بإنتاج فلسفة عربية أصيلة.
- تأسيس الحداثة الإسلامية، بناء على النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، وذلك من خلال تقديم الجواب الإسلامي على إشكالات العصر(طه، 2009، ص11)

2. آلية الحجاج المنطقي ودورها في قراءة وتجديد التراث عنده

الحجاج آلية لغوية يعتبرها طه عبد الرحمن أنها كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض عليها(طه، 1998، ص226). فالمتتبع القارئ لأعمال طه عبد الرحمن تستوقفه خاصية اهتمامه بمسألة الحجاج بوصفه أبرز آلية للإقناع، فهو فعالية تداولية جدلية، استدلاليه والخطاب والحجاج والكلام، أسماء مختلفة لمسمى واحد هو الحقيقة المنطقية الإنسانية.

لقد استخدم في نقده للتراث منهجية مأصولة لا منقولة، من خارج سياقه، فبعد أن دعا إلى قراءة أو دراسة التراث في كليته انصب اهتمامه على الوسائل والآليات التي تم بها إنشاء هذه المضامين، إذ يرى "أنه لابد من أن يقام النظر المضموني على النظر الآلي حتى يثمر نتائج لا فساد فيها(طه، 2013، ص27). ومن هذه الآليات التي يسميها مأصولة "آلية المناظرة" أي المحاورة الفكرية التي استخرجها من التراث وجدد العمل بها بأدوات المنطق "فالنقد الحقيقي" هو الذي يحترم الضوابط المشروعة في إبطال الآراء، وهي ضوابط تحصل في علم "المنطق"، فلا نقد من دون منطق، وهو ذلك الذي يتيح إمكانية الرد لمن توجه عليه الإبطال ليمكن من دفع الإبطال الذي ورد على رأيه بوجه منضبط ومشروع أيضا، وهو وجه يحصل في "آداب البحث والمناظرة".(النقاري، 2014، ص50).

لقد جاء الحجاج المنطقي عند طه عبد الرحمن وسيلة إستراتيجية إقناعية تقتضي تحصيل تكويني منطقي وحجاجي فلا يصير الكلام يقول: "حواريا حقيقيا حتى يكون لأحد المتحاورين رأي خاص يفتح به الكلام، فيطالبه الآخر بإقامة الدليل عليه، ويجوز أن يكون لكل واحد منهما رأي يخصه يطالبه الآخر بإثباته، فيدور الحوار بينهما في صورة جملة مرتبة من الدعاوى فالاعتراضات، فالإثباتات، ثم الاعتراضات متى لزم الأمر حتى ينتهي الحوار إما بالعجز عن الإثبات أو العجز عن مزيد الاعتراض".(طه، ص49).

إن الحجاج عند طه عبد الرحمن "فعالية تداولية جدلية، فهو تداولي لأن طابعه الفكري مقامي واجتماعي، إذ يأخذ بعين الاعتبار مقتضيات الحال من معارف مشتركة ومطالب إخبارية وتوجهات ظرفية، ويهدف إلى الاشتراك جماعيا في إنشاء معرفة عملية، وهو أيضا جدلي لأن هدفه إقناعي قائم بلوغه على التزام صور استدلالية أوسع وأغنى من البنيات البرهانية الضيقة"(طه، 2010، ص65).

فالفعالية الحجاجية صفة لكل خطاب طبيعي، فإذا كان الحوار ضرورة ملحة لبناء المجتمعات وتشييد الحضارات، وهو عنوان لحركية حضارية دافعه إلى الأخذ بأسباب التطور، فهو في الخطاب الفلسفي أدعى وأحق، "فالفلسفة الواعية بأصولها الطبيعية والتداولية ... لا تبغي بمسالك الحجاج بديلا، لأنها وحدها الكفيلة في إطار مجال التداول ومقتضياته التفاعلية بأن تحصل الإقناع وتدفع إلى العمل".(طه، 2010، ص66)

إن الحجاج في المباحث التداولية مسألة ثابتة، حيث يوجد تيار ناتج عن التقاء بتيارين نابعين من أصلين مختلفين متداخلين في الآن نفسه، تيار نابع من أطروحات فلسفية منطقية مختلفة ومتداخلة كالفلسفة التحليلية والنماذج المنطقية المختلفة، وتيار ينبع من اهتمام اللسانيين بالتخاطب وذاتية المتكلم وخصائص الخطاب ويتجمع التياران في مجال عام مشترك بين اللغويين والفلاسفة والمناطقة وعلماء النفس، نصنفه تحت عنوان هام جدا هو "الأطروحات البراغماتية".(لوصيف، 2006، ص07).

يعد طه عبد الرحمن أول من اقترح مصطلح التداولية مقابلا للمصطلح الغربي Pragmatique وقد تبناه أحمد المتوكل واستعمله فلقي استحسان المختصين الذين تداولوه في محاضراتهم وكتاباتهم(لوصيف، ص08). ولقد اشتغل باحثنا بالمجال والقضايا التداولية من منطلقين هما أسس تخصصه فلسفة اللغة والمنطق، فأثمر بحثه رؤية جديدة عمل من خلالها على نحت المصطلحات، كما تدل طريقته في نقد النظريات

وصياغة أخرى على مبادئ علمية قائمة على نقد النظريات وصياغة أخرى على مبادئ علمية قائمة على التأصيل، متجاوزا الآلية المعتمدة في الترجمة مستثمرا جهود علماء الإسلام في البحث التداولي، حيث نادى بالترجمة التأصيلية ومارسها في أصعب التخصصات على القارئ الغير متخصص وهو المنطق وفلسفة اللغة والتداوليات، ولقد ظهرت نتائجها وايجابياتها في تذليل كثير من الصعوبات وإشكاليات الترجمة إلى العربية، وما تداول كثير من مصطلحاته واستساغتها إلا دليل على ضرورة هذا النوع من الترجمة التي قال عنها: طريق في النقل يجب العمل به. (آمنة، ص278).

وبهذا يكون قد وضع أهم شرائط التجديد والعمل من أجل بناء مقومات الإبداع والتحرر من براثن التقليد وجاذبية الحداثة، وهذا لا يتأتى إلا متى التزم المتفلسف العربي بقواعد ومقتضيات المجال التداولي الإسلامي العربي، وبذلك يمكننا "خرق حجاب التقليد الذي ظل مستبدا بالعقل الفلسفي العربي بما ينيف عن ألف سنة، وتمكين المتفلسف العربي من القدرة على التصرف في المنقول الفلسفي على الوجه الذي يوافق مجاله الغربي أو اختياره الفكري(طه، 2008، ص34). وعليه يمكن أن نقول أن أهم ما نقف عليه في مشروعه هو إعادة الاعتبار للمناظرة والحجاج في الفكر الإسلامي من خلال تجديد الاعتبار لعلم الكلام، فالحجاج الفلسفي التداولي صورته المناظرة التي تستلزم حيازة أدواتها المعرفية وقواعدها الأخلاقية.

3. القراءة التكاملية للتراث

بأسلوب منطقي تفكيكي تجريدي إلى حد بعيد، يضع طه عبد الرحمن أساسيات نظرية للإجابة عن سؤال يطرحه في بداية الباب الأول من كتابه الموسوم: "سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد" يعنونه ب: "المنهجية التكاملية في التراث، وأما السؤال الذي يضعه على رأس الفصل الأول، فهو: كيف نجدد النظر في التراث؟ فيبدأ أولا بتفكيك وتحليل المفاهيم حيث وقف عند مفهوم كل من النص التراثي الإسلامي العربي، ثم النظر والتجديد والكيفية، ليفند منتقدا النظرة التجزيئية لهذا التراث مجددا آلياته المنهجية قائلا: "إعلم أن أسباب تركنا للنظر السائد في التراث تقوم في أربعة هي: "الاقتصار على النظر في المضامين" و"التوسل بالآليات المنقولة " والتلويح بالعقلانية" و"الدعوة إلى التجزيئية".(طه، 2015، ص 49).

لقد انتقد طه عبد الرحمن جهود الجابري في نقد التراث ووجد أنها نظرة تجزيئية داعية إلى كسر بنية العقل المنحدر إلينا من عصر الانحطاط، مستنجدا بآليات منهجية مستوحاة من الحداثة الغربية "فقد اتخذ موقفا جديدا من التراث حقق انعطافا عن القراءات السابقة عليه، وذلك بإصداره كتاب "نحن والتراث 1980 الذي تولى نقد قراءات التراث التي انطلقت، من منطلق ماضوي لا تاريخي(ابراهيم، طه، ص151).

يقول الجابري:"الفكر العربي الحديث والمعاصر هو في مجمله فكر لا تاريخي يفتقد إلى الحد الأدنى من الموضوعية، ولذلك كانت قراءته للتراث قراءة سلفية تنزه الماضي وتقدسه وتستمد منه (الحلول) الجاهزة لمشاكل الحاضر والمستقبل، وإذا كان هذا ينطبق بوضوح كامل على التيار الديني، فهو ينطبق أيضا على التيارات الأخرى، باعتبار أن لكل منها سلفا يتكئ عليه ويستنجد به"(الجابري، 1980، ص13).

لقد درس الجابري العقل العربي وقسمه الى محاور ثلاث أساسية غير مندمجة (البرهان والبيان والعرفان)، وجعل المنحى العلمي الذي يوصل إلى اليقين هو العقل البرهاني وهي رؤية علمانية بامتياز والتي ترى أنه لا اتصال بين الدنيا والدين وهي رؤية ماركسية هيجيلية، وجاء طه عبد الرحمان لينتقد موقف الجابري وينقضه بمنهجية فريدة، حيث اثبت أن هذا التقسيم مرفوض وخطير لان القضية البرهانية في طياتها تحمل قضايا أخلاقية، وان الخطاب البياني خطاب قائم على العلم الذي يوصل إلى اليقين، فالقراءة التكاملية عند طه عبد الرحمان انه لا بد أن لا تنفصل القراءة النقدية عن المجال التداولي، وهو مجال الحضارة الغربية المكون من العقيدة واللغة والفكر. ويستوقفنا هنا رأي الباحث حسين الإدريسي في كتابه "محمد عابد الجابري" ومشروع نقد العقل العربي إذ يقول: "إن هذا الحجب المتكرر في (إستمولوجيا الجابري) ينم عن أسر إيديولوجي للمؤلف نفسه ولموضوعه أيضا، في عملية مضنية للبحث عن اللامعقول في الثقافة العربية الإسلامية، ويظل المستجيب دائما في الخارج، في حين أن المطلوب هو تلمس مدى معقولية الخطاب العربي الإسلامي من الداخل لا من الخارج"(حسين، 2010، ص187).

لقد كانت غايته النقدية تستهدف في الوقت نفسه مجاوزة التراث وتحقيق الحداثة بالتماس شروط مد الحاضر في التراث الماضي، هذه الشروط التي ليست في حقيقة

الأمر سوى نتائج الحداثة الغربية، وبهذا قام الجابري بعكس ما انتقد به غيره من سهولة "الهروب إلى الأمام" إذ وقع في "الهروب إلى الوراء"، يتخذ الجابري العقلانية كمرجعية مطلقة، غير أنه ليس من السهل بناء نظام تصوري دقيق ومحدد لموقفه من التراث لأن آلية الفصل والوصل المزعومة في كتاب" نحن والتراث" لم يتحقق بواسطتها تحديد (النحن) لانغماسها وذوبانها في الهاجس السياسي، ولعدم فهم التراث فهما موضوعيا خارج إسقاطاته التي لا تستوعب لا المرجعية الغربية ولا تحقق التأسيس لامتناع شروطه الكاملة، وانحصاره في دائرة التاريخ والسياسة، وعدم انجاز الحوار المطلوب مع التراث.(ابراهيم، طه، 2009، ص156-157)

ويقف طه عبد الرحمن موقف الناقد للنظرة التجزيئية في قراءة التراث محددا موقفه من آراء الجابري، إذ يقول: "إن قراءة الجابري (الايستمولوجية) أتت من العثرات في المنهج، والثغرات في المعلومات، ما قد يرفع عن قراءته في التراث القيمة العلمية المزعومة ويشكك في صلاحية استثمار مقرراتها في مجال الدرس التراثي."(طه، 2003، ص25)، لقد نذر طه عبد الرحمن نفسه إلى إنشاء نظرية مستقلة في تقويم التراث يقول: "حرصنا فيها أشد الحرص على أن تستوفي مسائلها مقتضيات المنهجية التي يزعم أصحاب هذه الدعوة القيام بها، حتى لا يكون الحق الذي نسبوه لأقوالهم بموجبهذه المقتضيات ،ممنوعة نسبة إلىأقوال مخالفيهم ممن يدعون إلى تجديد التراث. (طه، 1994).

لقد أراد طه عبد الرحمن تجاوز النظرة التجزيئية في قراءة ونقد التراث، كاشفا خلفياتها وأوهامها، داعيا إلى الارتباط بالتراث والتمسك به منهجا وروحا، حيث تصدى لكل إعراض عن التراث كما يدخل في نقد لحدود كونية أو شمولية القيم الغربية، مبرزا أن الغرب نفسه صار يقلل من هالة الكونية ويبرز الخصوصية. (ابراهيم، طه، ص159)

4. الحداثة الإسلامية وآلية إنتاجها

يؤسس طه عبد الرحمن رؤيته لتفعيل العمل على النهوض بالتراث مرتكزا على عدة محاور أهمها: "الاحتكام إلى المجال التداولي الإسلامي روحا ومنهجا. والتحرر من أية سلطة فكرية غربية توجه البحث، ومن هنا وضع حدا لمرجعيات تحشر نفسها في كل قضية، وأزاح كابوس الإحالات المفتعلة والمغرضة لدى الكثيرين من أصحاب القراءات

ووضع ما سماه الآليات الإنتاجية التي رتب قوانينها، وبين خصائصها، فأصبح مشروعه هرما معماريا من المصطلحات والمفاهيم التي تم تشكيلها بتلقائية. (عباس، ص103-104).

إن قراءته ونقده للحداثة الغربية قد أفضت به إلى توضيح وبيان هشاشة مرتكزات الرؤى الفلسفية للحضارة الغربية، لما أنتجته من مختلف مظاهر الاختناق والتأزم حيث يقول: "إن النظام العلمي التقني في مرتبة الانتظام التي ذكرنا أنها تكسب الإنسان الحديث سيادة التصرف وسلطان البطش- ينبني على مبدأ اصطناع أخلاق جديدة ويتجلى هذا الاصطناع للأخلاق في مسلكين هما: مسلك تغيير الخلق "أي تغيير الفطرة" ومسلك تغيير الخُلق" أي تغيير السلوك(طه، 2013، ص123) .

لقد كان النقد الانتمائي للحداثة عند طه عبد الرحمن منهج يقابل الدهرانية، والمقصود "بالدهرانية" هو الدعوة لفصل الأخلاق عن الدين، سبقتها "الدينية" وهي الدعوة لفصل الدين عن الحياة، أما العلمانية بفتح العين فتعني فصل الدين عن السياسة، بينما العلمانية بكسر العين فهي فصل العلم عن الدين ومن هنا استهدف إعادة الاعتبار لأهمية التجربة الأخلاقية في بناء الإنسان حيث جاءت كتاباته الأخيرة تصب في هذا المنحى الذي يهدف إلى إعادة الاعتبار للتجربة الأخلاقية في مواجهة التيارات المادية للعقل الحداثي المجرد واستبدالها بالعقل المؤيد الذي يعده أعلى مراتب العقل والقادر على إصباغ الحياة والفكر بالقيم المعنوية "فالحداثة لا تولد إلا قيما ومعاني من جنس وقائعها وظواهرها" يقول "فلابد إذن من طلب أخلاقيات تنأى عن السطح الذي وقفت عنده الحداثة، ونغوص في أعماق الحياة وأعماق الإنسان، فلا أعمق من حياة تمتد من عاجلها إلى آجلها ولا أعمق من إنسان يصل ظاهره بباطنه، وأي المعاني الخلقية تستطيع استيعاب هذا الامتداد للحياة وهذا الاتصال للإنسان من المعاني التي ينطوي عليها الدين الإلهي أليس يسعى هذا الدين إلى صلاح الحياة الإنسانية في الحال وفلاحها في المآل، فما بالك بدين كالإسلام الذي جاء ليكون تماما وكمالا لهذه المعاني الروحية"(طه، 2013، ص26) .

وتوضيحا لفكرته حول سؤال الأخلاق، توقف في كتابه هذا مع شروط وموانع تجديد الفكر الديني الإسلامي، فوقف مع أسباب الانبعاث الإسلامي حيث دعا إلى استعجال

المسلم تدارك التقدم الحضاري بالتزود بالتزكية والطاقة الروحية دون الاكتفاء بتقليد السبل المادية المنقولة عن الغرب.

- تقويم النظرة التفاضلية إلى التراث بدرء التقليد وجلب التجديد.
- الابتعاد عن محاكاة النمط الحداثي الذي بني أساسا على نبذ الأخلاق.
- الأخذ بشروط تجديد الفكر الديني التي تعتمد الشمول والتكامل المطلوبين في الدين الإسلامي وذلك مرهون بقيام النظر على العمل في أسس ثلاث: "التحقق بالعمل الشرعي، واستعمال العلم، والتوسل بالنظر بمفاهيم عملية شرعية. (طه، 2013، ص189)

لقد رام طه عبد الرحمن التأسيس لحداثة ذات توجه معنوي، بديلة عن الحداثة ذات التوجه المادي، فمن خلال مقاربته لمفهوم الحداثة في كتابه: "روح الحداثة- المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، فالحداثة إمكانات متعددة وليست واحدة كما يروج لها، حيث يمكن الحديث عن حداثات كثيرة بحسب الأقطار والمراتب والمجالات، فإذا كانت الحداثة الغربية متعددة الأشكال مع اشتراكها في المصير والتاريخ، فكذلك لابد أن يكون هناك حداثة إسلامية.

ومن خلال طرحه للخطوط العريضة في تأسيسه للحداثة الإسلامية التي أرادها بديلا للطرحين التقليديين حسب تصوره: التقليد (السلفي) والتقليد العربي (الحداثوي) وليس الحداثي وثمة حدد سبل تفعيل الحداثة في كتابه "روح الحداثة" انطلاقا من الاستقلال والإبداع، وقد حدد شروطا للإبداع، وضرورة الانتقال من التعقيل المقلد إلى التعقيل المبدع، يقول: "لست أرى من مخرج لحركة التجديد الإسلامي من وضع التضييق والتشنيع التي تعاني منه، إلا بتمام استيضاحها للمدلول الإسلامي للتجديد، فالتجديد في منظور الإسلام ليس هو مجرد التشييد للصرح الدنيوي من خطوط خاصة ومصالح مشتركة، بل هو أشرف من ذلك درجات، نظرا لأنه يطمح إلى تشييد علاقة الإنسان بربه، ولا هو مجرد التغيير في الوعي السياسي للأفراد، بل هو أوسع من ذلك درجات، لأنه ينزع إلى تغيير الإنسان بوصفه كلا متكاملا".(طه، 2013، ص194) ، فالتطبيق الإسلامي عامة يسعى إلى الارتقاء بالإنسان إلى كمالاته الإنسانية وحصول رتبه الإحسان، ولا يهدف إلى تحديثه ماديا بما ينحط به إلى رتبة الحيوان.

خاتمة

ختاما يمكن الخلوص إلى أن طه عبد الرحمن انتهى إلى أن الفعل الحداثي الإسلامي لا يقوم إلا على أصل التفاعل مع الدين، أو الإبداع الموصول ويعني به تجديد الفعل الحداثي وليس نقله، عن طريق "التأنيس المبدع"، الذي يكرم الإنسان ويعيد للخالق مكانته، "والتعقيل المبدع" الذي يعني الاستثمار في كل الوسائل والمنهجيات الحديثة، و"التأريخ المبدع" بالاستناد إلى السياقات التاريخية والرجوع إلى مبدأ "التدبر" و"الاعتبار" القرآنيين، فلا دخول للمسلمين إلى الحداثة إلا بحصول قراءة جديدة للقرآن الكريم كما يقول والأخذ بمبادئ روح الحداثة الثلاث حسبه: الرشد والنقد والشمول، وبهذا يكون مشروع طه عبد الرحمان نظرة متكاملة لرؤية فلسفية تروم التقييم والتقويم والتطلع إلى انبعاث حضاري جديد في تصورنا.

المراجع

1. أرحيلة عباس. فيلسوف في المواجهة، قراءة في فكر طه عبد الرحمان. بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.
2. الإدريسي حسين، 2010. محمد عابد الجابري ومشروع نقد العمل العربي (المجلد الأولى). بيروت، لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.
3. الطاهر لوصيف، ي 2006. التداولية اللسانية. مجلة اللغة والأدب .
4. بلعلي آمنة، (د.ت). المنطق التداولي عند طه عبد الرحمان وتطبيقاته. ملتقى علم النص، صفحة 278.
5. بن عدي ليوسف، 2012. مشروع الإبداع الفلسفي العربي: قراءة في اعمال طه عبد الرحمان، المجلد 1، بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
6. حمو النقاري، 2014. منطق تدبير الاختلاف من خلال أعمال طه عبد الرحمان، المجلد 1، بيروت، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
7. عبد الرحمان طه، الحق الإسلامي في الاختلاف الفكري.
8. عبد الرحمان طه، 2013. الحوار افقا للفكر، المجلد 2، لبنان: الشبكة العربية للأبحاث والنشر.
9. عبد الرحمان طه، 1998. اللسان او التكوثر العقلي، المجلد 1، بيروت، لبنان: المركز الثقافي الغربي.
10. عبد الرحمان طه، 1994. تجديد المنهج في تقويم التراث. المركز الثقافي العربي.
11. عبد الرحمان طه، 2003. حوارات من أجل المستقبل. بيروت، لبنان: دار الهادي.

12. عبد الرحمان طه، 2013. سؤال الأخلاق مساهمة في النقد الأخلاقي للحداثة الغربية، المجلد 5، بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

13. عبد الرحمان طه، 2015. سؤال المنهج في أفق التأسيس لأنموذج فكري جديد. بيروت، لبنان: المؤسسة العربية للفكر والإبداع.

14. عبد الرحمان طه، 2008. فقه الفلسفة، المجلد 3،بيروت، لبنان: المركز الثقافي العربي.

15. عبد الرحمان طه، 2010. في أصول الحوار وتحديد علم الكلام، المجلد 4، المركز الثقافي العربي.

16. مباركة حاجي، جوان 2016. النظرية الطاهوية بين جدلية التعقل وتحقيق الجمالية. المداد .

17. محمد الجابري، 1980. نحن والتراث. بيروت، لبنان: دار الطليعة.

18. مشروح ابراهيم، 2009. طه عبد الرحمان، قراءة في مشروعه الفكري، المجلد 1، بيروت، لبنان: مركز الحضارة لتنمية الفكر الإسلامي.